حول دور العمل الأهلي في حماية البيئة

المستشار عبد العاطى الشافعى(*)

والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ، أحيكم بتحية الإسلام، وتحية الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحقيقة أمرنا الرسول ﷺ بالرفق ترفقاً بكم لن أطيل، وسأكتفي بدقائق معدودات حتى لا أشق عليكم.

أولاً: بالنسبة لتعريف البيئة، القانون رقم ٤ لسنة ١٩٩٤م الخاص بالبيئة والذي صدر أخيراً، وبدأ تنفيذه من أول شهر مارس من هذا العام بعد إعطاء مهلة ثلاث سنوات التوفيق الأوضاع، عرف البيئة في مادته الأولي تعريفاً دقيقاً، فقال أن البيئة بالتحديد هي المحيط الحيوي الذي يشمل الكائنات الحية وما يحويها من مواد، وما يحيط بها من ماء وهواء وتربة وما يقيمه الإنسان من منشآت، هذا تعريف جامع مانع ويتفق تماماً مع التعريفات الطبية التي قدمها أستاذنا الجليل فضيلة الدكتور إسماعيل الدفتار، وأعتقد أنها تتفق تماما مع التوجيهات الإسلامية في بيان البيئة وتعريف البيئة.

ثانياً: بالنسبة للجمعيات الأهلية هي ركيزة التنمية الاجتماعية كلها، وسلامة البيئة هي أساس ودعامة صحة المجتمع كله بما فيه من مقومات، والحفاظ وحماية الثروات والموارد مقدرات المجتمع، والبيئة بهذا الوضع ستحتاج إلى ملتقى آخر للحديث عن أهداف حماية البيئة،

(*) رئيس مجلس إدارة الجمعية المركزية لحراس النيل وحماية البيئة

وسأقترح على أساتذتي هنا أن البيئة ينبغي ألا تنتهي عند هذه الجلسة، وإنما لابد ان يكون لها ندوة أخري مكملة إن شاء الله.

نأتي إلى موضوع دور المشاركة الشخصية في حماية البيئة والنيل وسلامة النيل، سأحدثكم عن السبب الذي جعلني أفكر في إنشاء جمعية حراس النيل وحماية البيئة، الأصل طبعاً "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" الأصل أن نتعاون جميعاً ولا نلقي العبء كله على ولي الأمر وعلى الحكومة كي تقوم بكل العمل، فيجب أن نضع أيدينا في أيدي أولي الأمر والمسئولين والحكومة والسلطة التنفيذية بالمشاركة الشخصية، لأن الأصل في المسلم أن يكون إيجابياً لا أن يكون سلبياً في كل تصرفاته وفي كل أعماله، وأن يكون إيجابياً في خدمته للمجتمع وخدمته لأهله وخدمته لنفسه.

تعاونوا على البر والتقوي، إذن حينما نتعاون مع الحكومة على حراسة النيل وحماية البيئة فهذا واجب ديني ما في ذلك شك، مثل شعار الندوة، «حماية البيئة هو واجب ديني» وأنا أقول أنه واجب ديني ووطني وأخلاقي، وواجب قانوني أيضاً.

في يوم من الأيام، كنت عضواً في المجالس القومية المتخصصة، وبالتحديد في المجلس القومي للخدمات، وكنا ندرس دراسة عن المصانع فقرات عرضاً ذكر النيل، وأن المصانع تلقي بمخلفاتها السائلة غير المعالجة، أي مخلفات سامة، بالتحديد ٥٤٩ مليون متر مكعب سنوياً، وطلبت الكلمة ثم قلت أنه في الريف عندما يتكلمون عن واحد قليل الأصل ليس لديه إحساس ولا مروءة ولا إنسانية يقولون عنه عبارة سأثر حبها بالفصحى "إنه يأكل في الوعاء ويخلف فيه صرفاً صحياً"، وقلت لهم يا علماء مصر كلنا نصنع صنيع

هذا الرجل، فنحن نشرب من النيل ونتبرز ونتبول فيه، أضيف إلى هذه المعلومة، ثلث الصرف الصحي على مستوي الجمهورية يلقي في النيل وفي التراب، نهيكم عن الحيوانات النافقة وغيرها، لقد رأيت أنهار العالم الخواجات يقدسونها رغم أنهم لا يشربون منها، وقد قلت لهم: أنهار الدنيا مقدسة وأنهارنا ملوثة ومدنسه.

كيف يتفق مع العقل أن أشرب من الماء ثم أتبول فيه وأتبرز فيه، هذا هو الذي تصنعه وما زلنا، وما زالت المصانع تلقي بمخلفاتها السامة في النيل، وما زالنا وما زالت عربات المجاري تلقي محتوياتها في النيل أمام أعيننا جميعاً، لم أنم في تلك الليلة وفكرت في إنشاء جمعية حراس النيل وحماة البيئة وفيها كوكبة كبيرة من العلماء لعل بعضهم حاضرون الآن وعدد من المحافظين وعدد من الوزراء، والناس كلها مقبلة عليها لأنها أمست بخطر.

أريد أن أصل إلى القول بأن هذه الجمعية نموذج وهناك جمعيات أخري كثيرة. واجبنا الأخلاقي والديني والضمير يحتمان علينا أن نتعاون ، ولا يقول كل واحد منا "وأنا مالي ما كلنا بنشرب من مية النيل" أنا أحضرت جهاز لترشيح الماء وبعد عشرين يوماً عندماً طلبت تنظيفه وجدت كتلاً من الحجارة تكونت فيه نتيجة لكمية المياه القليلة التى شربناها فقط في خلال العشرين يوم.

قانون رقم ٤ لسنة ١٩٩٤م جاء وقنن هذه المشاركة الشعبية، وفي المادة ١٠٣ منه، قال ان حق الإدلاء عن المخالفات لكل مواطن وللجمعيات، إذن المشرع الوضعي أيضاً بالإضافة إلى التشريعات السماوية والإسلام وكيف أن أوجب علينا ان نساهم في حراسة النيل كجزء من البيئة، ألزمنا والمشرع الوضعي أن تبلغ عن كل مخالفة. فلا انتظر النيابة حتى تتحرك ولا جهاز البيئة، فهو لن يستطيع تحمل كل هذا العبء بمفرده، ولا وزارة البيئة،

علينا جميعاً أن نشارك مشاركة شعبية ونحمي مقدراتنا، لأننا بذلك نحرس أنفسنا لا أحد غيرنا يعمل لأنفسنا ولأولانا. وقد قلت للعلماء وقتها أن ستين مليون مصري مرشحون للفشل الكلوي، ولكنها عناية السماء، لأن الماء الذي نشربه به كل مقومات الفشل الكلوي لولا لطف الله تبارك وتعالي.

أقول أن المشاركة الشعبية واصية في صورة جمعيات، وقانون ٣٢ لسنة ١٩٦٤م يتم تعديله الآن، تكوين الجمعيات حق دستوري، فالدستور يقول من حق المواطنين جميعاً أن يشكلوا الجمعيات طالما أنها جمعيات للخير.

من خلال هذه الجمعيات، وجمعية حراس النيل وحماة البيئة التي أشرف بتأسيسها مع كوكبة من العلماء، وياليت كل الناس تعمل كل يوم جمعية، حتى تقوم جمعيات الخير والبر والتقوى على حماية البيئة.

وإننا إن فعلنا ذلك أرضينا الحق تبارك وتعالي وحمينا مصالحنا وأنقذنا أولادنا وأحفادنا والأجيال القادمة من خطر داهم، هو خطر تلوث البيئة.

وشكرا لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته